**قصة موت آدم**



**سلسلة دراسات كتابية**

**فكتور أنيس تاوضروس**

www.oasisoflivingwater.com

**قصة موت آدم**

يَعتقد مُعظمنا عِند قِراءة قِصة آدم كما وَرَدت في سِفر التكوين أنها قصة رمزية وأن قصة موته أيضاً رمزية أو بالكاد روحية، لكنها أكثر من ذلك. دعونا نري ماذا يقول الوحي المقدّس في ذلك.

**آدم قبل السقوط:** كان آدم أحد مخلوقات الرب الإله لكنه كان يختلف عن باقي المخلوقات في طرقٍ عِدّة منها عقله وحكمته وقوة تمييزه وإختياره وتفكيره وقدرته علي الكلام.

وقد إختار الرب الإله أن يبقيه معه في جنّة عدن طول الوقت.

**الإنذار:**

وقد أعطي الربُ الإله آدمَ الحرّية المُطلقة ليفعل ما يشاء وكذلك أن يأكل من كلِّ ثمر أشجار الجنة إلّا شجرة معرفة الخير والشر، إذ أنه يوم يأكل منها موتاً يموت (تكوين 2:17).

وفي الحقيقة لم يعرف آدم ما معني الموت إذ أنه لم يَرَ أو يشاهد شيئاً قد مات من قبل، إذ أن كل شئي حوله كان حسناً وجميلا وحياً. وبالطبع يُفهم من هذا الإنذار أن آدم كان حياً وأنه كان سيظلُّ حياً إلي الأبد إن لم يأكل من هذه الشجرة الممنوعة. وبمعني آخر أنه كان سيبقي حياً إلي الأبد مثل الرب الإله وهذا عين الشئي الذي خلقه الرب الإله من أجله. وهذا أيضاً واحدٌ من صِفات كونه علي صورة الرب الإله التي أنعم الرب الإله بها علي آدم كما نري في الوحي الإلهي: **"فخلق الله الإنسان علي صورته، علي صورة الله خلقه."** (تكوين 1:27).

ولكننا نعلم أن الله روح ليس له صورة مادّية يُنظر إليها كما يُخبرنا الوحي الإلهي **"الله روح"** (يوحنا 4:24). إذن فما معني **"علي صورته"؟** إنها تعني علي صورته في بِرّه وأبديته وحُبه ومعظم صفات الله النسبية، أقول النسبية وليست الذاتية لأن صفات الله الذاتية لا يشاركه أحدٌ فيها مثل سرمديته (أي أزليته وأبديته)، وكينونته إذ أنه قائم بذاته ناطقٌ بكلمته وحيٌ بروحه.

وبالطبع إذا أهمل آدم هذا الإنذار فسَيفقد كل هذه الصفات التي أنعم الله بها عليه كما سنري بعد.

**آدم بعد السقوط:** وكما توقعنا لم يهتم آدم بالإنذار وأهمله وأكل من الشجرة المحرّمة سواءٌ كان هذا بتأثير حوّاء أو بإغواء الحية لا فرق ولا يهم. وقبل أن نستسرد أكثر في الموضوع يجب علينا أن نَعِي أن كلمة الله فرمان ملوكي لا يمكن أن يسقط أو يتغيّر. ولذلك فعندما أكل آدم من الشجرة المحرّمة يجب أن يموت لأن الرب قال كذلك، وهذا هو موضوع دراستنا.

كما قلنا سابقاً آدم لم يعرف ما معني الموت إلي أن طُرِدَ من الجنة وهذا ما يُدعي **" بالموت الروحي "** أو الإنفصال عن حضرة الرب كما يقول الوحي الإلهي **"فأخرجه الرب الإله من جنة عدن"** (تكوين 3:23).

لكن هناك موت آخر وهو "**الموت الجسدي"** وهذا واضح مما ذُكر في تكوين 3:19 **"بعرق وجهك تأكل خبزاً حتي تعود إلي الأرض التي أُخِذت منها. لأنك تراب وإلي ترابٍ تعود".** ومن هذه الجملة يتضح أن الرب الإله يقول لآدم بكل وضوح أنه سيشقي تعباً كل أيام حياته ليأكل إلي الوقت الذي يرجع فيه إلي تراب ويعني بهذا إلي أن يموت. والآن حياة آدم أصبحت محدودة بزمنٍ وليست أبدية كما كانت.

وهكذا مما سَلفَ ذكره حتي الآن نري أن هناك نوعين من الموت، وسنناقش في بقية هذه المقالة عواقب كل منهما وماذا فعل الرب الإله لإرجاع الأمور إلي مجاريها.

**العواقب:**

أعتقد أن آدم لم يكن يعرف أيضاً أنه كان قد خُلِقَ من ترابٍ، لكن الرب الإله أعلن له هذه الحقيقة بوضوح.

آدم لم يَمُت جسدياً في الحال، لكن الرب الإله أعطاه حياة لمدة من الزمن يعمل الفساد في جسده خلالها إلي أن يُمِيته. ولذلك فالرجال الأوائل الذين ذُكِروا في سفر التكوين عاشوا طويلا لمئات السنين، ولكن بعد أن إكتمل عمل الفساد في جسد الإنسان عبر الأجيال الطويلة، قَصُرت الأعمار إلي أقل من المئة مع بعض الفوارق الفردية القليلة. هذا ولم يحدد الرب الإله الأعمار بأيام أو شهور أو سنين حتي يَترقّبُها آدم، لكن الحقيقة التي أُعطيت له كانت أنه يوما ما سيموت. وقد يتسائل البعض عن أيٍهما حدث أولاً الموتُ الروحي أم الموتُ الجسدي؟ والجواب في نظري هو أن أحدهما لم يسبق الآخر لسببين: 1) ألله لا زمني بمعني أن كل وقت عنده حاضراً دائماً أي أن الماضي والمستقبل حاضرٌعنده وذلك لأن الله لا يدور حول الأرض مثلنا نحن الأرضيين. 2) نَفُذَ الخكم حال نطق الرب الإله به إذ بقول الوحي الإلهي **"يوم تأكل منها موتاً تموت"** (تكوين 2:17).واليوم هنا ليس معناه 24 ساعة بل يعني أنك ستموت في الوقت الذي تأكل فيه منها. وهكذا جري الموت الروحي والفساد الجسدي في نفس الوقت عاملاً في جسده مع العمل اليومي الشاق إلي أن يموت.

وهكذا نحن نعلم الآن أن شيئين حتماً حدثأ وهما: 1) أن آدم فقد أبديته بطرده من الجنة أي بإنقصاله عن الله وأيضاً فَقدَ صورة الرب الإله التي أنعم بها عليه عند خلقه وصار فاسداً روحياً. 2) أنه واجَه موتاً جسدياً **"وإلي تراب تعود"** وصار فاسداً جسدياً. وقد صرخ بولس في القديم قائلا **" ويحي أنا الإنسان الشقي. من يُنقذني من جسد هذا الموت؟"** (رومية 7:24).

ولكن الأمور لا تنتهي هكذا لأن السيد الرب لم يخلق آدم ليهلك، بل خلقه ليعيش في الجنة إلي الأبد. وهكذا كان لا بُدّ أن تحدث عملية تجديد أو إحياء لإرجاع الإنسان إلي صورة الرب الإله التي فقدها وبالتلي إلي الجنة، وهنا أرجو المعّذرة إذ ربما يعتقد البعض أن عملية التجديد إنما هي عملية إصلاح أو ترميم أو بلغتنا الدارجة عملية ترقيع وهذا فكر خاطئي، فالرب الإله لا يرمم ولا يُرَقع الأشياء حيثما أو كما تأتي وهذا أيضاً ليس بصحيح فالرب الإله كلي المعرفة وكلي القدرة وكلي الوجود وبسابق معرفته يري كل شئي قبل أن يحدث ولذلك فقد أعد خلاصاً قبل بدء الخليقة. وهذا يأتي بي إلي نقطة في غاية الأهمية يجب أن نفطن إليها أجمعين فالرب الإله سَبقَ فعَرف أن آدم سَيُخطئي ولكن لم تكن هذه هي إرادة ألله ، لقد كانت إرادة آدم ولذلك أرجو أن لا نَخلِط بين إرادة الله وسابق معرفته بما سيحدث لأن سابق معرفة الله ليست إرادته.

**عملية التجديد أو الإحياء ولا أقول عملية الترقيع:** لقد رأينا أن آدم أخطأ مرة واحدة، وربما يظن البعض أن الرب الإله كان في إمكانه أن يغفر له وينتهي الأمر. نعم نحن نتفق أن الرب الإله غفور ورحيم وأنه بالتأكيد كان بإمكانه أن يفعل هذا، فقد غَفَرعلي كل خطايا المشلول (متي 9:2 ومرقس 2:5 ولوقا 5:20) وغفر أيضاً خطايا المرأة التي صبت قارورة الطيب علي قدميه في منزل سيمون الأبرص (لوقا 7:48) حتي بدون أن تسأله المغفرة. ولكن المشكلة ليست في الخطية التي كان بإمكان السيد الرب مسحها نهائياً ولكنها في عواقب الخطية التي تترك ندبة قبيحة لا يمكن إزالتها. وهناك حقيقة أخري يجب ألاّ نتجاهلها وهي أن الرب الإله لا يرمم أو علي حد تعبيرنا لا يرقع شيئاً. لنسمع ما قاله يسوع نفسه **"ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة علي ثوب عتيق. لأن الملئي يأخذ من الثوب فيصير الخرق أردأ"** (متي9:16). إنه يصنع كل شئي من جديد وبصيغة أخري أنه يخلق الأشياء خلقة جديدة. لنسمع ما يقوله الوحي المقدس: 1) أجاب يسوع وقال له "**الحق الحق أقول لك إن كان أحدٌ لا يولد من فوق لا يقدر أن يري ملكوت الله"** (يوحنا 3:3). وهذا يعني أن الإنسان لا يقدر أن يرجع إلي الجنة ويعيش إلي الأبد إلاّ إذا وُلِد أو خُلِق من جديد. 2) "**إذن إن كان أحد في المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً"** (كورنثوس الثانية 5:17). 3) **"مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات"** (رسالة بطرس الأولي 1:3).

إذن فالحالة الآن هو أن هناك خطية أرتُكِبت وحسب إنذار الرب وعدله المستحق فالإنسان يجب أن يواجه موت أبدي، وحكم الله العادل هو **"أجرة الخطية هي موت"** (رومية 6:23). وعليه فالثمن لا بد أن يُدفَع. أما الإنسان فلا يستطيع أن يَدفع لأنه ميتٌ روحياً وفاسدٌ جسدياً، وعليه فيجب أن يكون هناك بديلا أو فادياً، ولكن هذا الفادي يجب أن يكون مؤهلاً لهذا العمل.

**إذن ما هي مؤهلات هذا الفادي؟ 1) يجب أن يكون إنسان:** حيث أن الجاني إنسان إذن فالفادي يجب أن يكون أيضاً إنسان. وهذا يَستثني الملائكة من أول الأمر. **2) يجب أن يكون بلا خطية:** وذلك بكل بساطة لأن الخاطئي لا يحل محل الخاطئي. ولِنَضَعها بصورة أخري لأن المُفلس لا يستطيع أن يَكفل مُفلساً. ويقول الوحي الإلهي في ذلك: **"كلهم قد إرتدوا معاً فسدوا، ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد"** (مزمور 53:3 وأيضاً في رومية 3:12). وهذا أيضاً لا يؤهّل أي إنسان لكن يوجد واحد وهو يسوع المُتجسّد فهو بلا خطية لأنه إبن الله من جهة الأبوَّة أما من جهة الأموَّة فهو لا يَرث فساد الجسد لأنه ليس من زرع بشر بل أن روح الله القدوس حلّ علي العذراء مريم. **3) يجب أن يكون قادراً علي الخلق:** ألله يُجَدد ولا يُرَقّع كما ذكرنا آنفاً. ولا يستطيع بشر أن يخلق إلاّ يسوع المتجسد الذي هو بهاء مجد الله ورسم جوهره (عبرانيين 1:3) ولذلك فهو الوحيد الذي يقدر أن يخلق. **4) يجب أن يكون مستعدّاً للموت:** مَع أنه لم يَفعل أي خطية إلاّ أنه يجب أن يكون مستعدّا لأن يموتً نِيابة عن الخاطئي لأن الوحي الإلهي يقول **"وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة"** (عبرانيين 9:22)، وليس لأجل خاطئي واحد قحسب لكنه مات من أجل كل خطاة العالم **"لأنه هكذا أحبَّ الله العالم حتي بَذل إبنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية"** (يوحنا 3:16). **5) يجب أن يكون قادراًعلي أن يقيم نفسه من الأموات:** لأنه إذا مات وظلّ ميتاً فهو لم يُنجِز شيئاً. ولكنه يجب أن يقوم من الأموات ليَغلب الموت، حينئذٍ وحينئذٍ فقط يكون هناك نُصرة. لنسمع ما يقوله الوحي المقدّس: "**أبتُلِع الموتُ إلي غلبة ، أين شوكتك يا موت، أين غلبتك يا هاوية** **؟ أمّا شوكة الموت** **فهي الخطية وقوة الخطية هي الناموس**" ( كورنثوس الأولي 15 وأعداد 54 إلي 56). والسؤال هنا هُو هَل يَستطيع أي ملاك القيام بهذا الفداء؟ لا بالطبع إذ أن ليس له القدرة علي الخلق كما أن ليس له القدرة علي القيام من الأموات علاوة علي أنه ليس إنسان.

وأمّا الذنب فقد أُرتُكِب ضد الخَالق نفسه، ولذلك فالفادي البديل يجب أن يكون معادلاً له في المَقام حتي يستطيع أن يمحو هذا الذنب، وعليه فلا الإنسان ولا الملاك يقدران أن يَقوما بهذه المهمة. ومَن يقدر أن يقوم بها إلاّ من قال عنه كاتب سفر العبرانيين: **"إبنه الذي جعله وارثاً لكل شئي الذي به أيضاً عَمِل العالمين ،الذي وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحاملٌ كل الأشياء بكلمة قدرته"** (عبرانيين 1 أعداد 2،3)؟ وهو نفسه الذي قال **"من رآني فقد رأي الآب"** (يوحنا 14:9).

والآن ماذا نستطيع أن نتعلّم من كل هذا؟ كثير علي كل حال: **1) الرب الإله خلق آدم ليعيش إلي الأبد:** لو لم يُخطئي آدم لعاش إلي الأبد مع الرب الإله ولكان لم يَختبر لا الموت الروحي ولا الموت الجسدي. وبالمِثل لو لم يَقتل اليهود السيد المسيح المتجسّد لعاش علي الأرض إلي الأبد أذ أنه إبن الله الأبدي وليس له طبيعة فاسدة تعمل في جسده. **2) لو كان الله قد غفر لآدم لما أفاده شيئاً**: لأن الخطية كانت قد تركت نُدبةً قبيحةً لا يمكن إزالتها. وهذا يعني مثلاً أنه إذا إرتكب إنسان ما خطية الزنا ونتيجةً لهذا فقد أصِيبَ بمرض جنسي، ثم يطلب الغفران من الرب الإله ويستجيب له الرب ويغفر له، لكن الخقيقة باقية أنه ما زال يعاني من المرض الجنسي.  **"الغفران لا يمحو عواقب الخطية"**. مَثلٌ آخر: إنسان قتل إنسان آخرثم أحس بشناعة ما فعل وطلب الغفران وغُفِر له، فهل هذا يُرجع المقتول إلي الحياة؟ و هناك مثل كتابي وهو داود النبي الذي إرتكب خطية الزنا ثم بللَ فراشه بدموع الندم وطلب الغفران وغُفر له فهل زالت عواقب الخطية؟ **3) الفرمان الإلهي" أجرة الخطية هي موت":** لم يكن هذا الفرمان لآدم فقط ولكنه سَاري المفعول للخليقة كلها. أرجو ألا يفتكر أحد منّا أنه من الممكن أن يخطئي ولا يحاسب إلاّ بالطبع إذا تاب وطلب الغفران بقلبٍ متواضعٍ ومنكسرٍ. لنتذكّر كيف أن الملك داود كان يبكي ليلاً ونهاراً بالدموع طالباً الغفران. **4) عملية التجديد أو الإحياء هي لإرجاع آدم إلي الجنة:** هذا كلّف الرب الإله إبنه الوحيد إلاّ أن هذا لم يزعِجُه لأنّه أحبّ كل واحد منا. ونحن فيه خليقة جديدة لأنه لا يَرفي أو يُرقِّع. **5) لم يكن هناك فادي إلاّ إبنه الوحيد:** لقد رأينا مما ورد آنفاً أن الإنسان والملائكة أخفقوا في التأهل لهذا العمل العظيم.

هذا وقد كلّمنا الرب الإله عن هذا الفداء بِطُرقٍ مختلفةٍ عبر التاريخ. وفي الحقيقة نقدر أن نقول منذ بدء الخليقة لأن الوحي الإلهي يحدّثنا أن الرب الإله صنع أقمصة من جلد وكساهما أي آدم وحوّاء (تكوين 3:21). ثم أرانا الفداء في قصة نوح وفي فداء إسحق بالخروف وعند فداء أبكار بني إسرائيل من الموت في أرض مصر ثم صارت فريضةً تقديمُ ذبائح في مناسبات مختلفة خصوصاً في يوم الفداء. هذا ومهما تكلّمنا في هذا الموضوع فلن نُوفيه قدره.